قلبه وسمعه وبصره بمنزلة الظلمات الثلاث فانتهاء الكافر لا يدري
ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فهذه المراتب الثلاثة
شبه تلك الظلمات الثلاث رابعها قلب مظلم في صدر مظلم في جسد
مظلم خامسها ان هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة اصراره
على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده اظهر
الدلايل لم يفهمه ومن لم يجعل الله اي الملك الاعظم له نورا فما له
من نور قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين
له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له لانه تعالى قادر على ما يريد
ولما وصف تعالى انوار قلوب المومنين وظلمات قلوب الجاهلين
اتبع ذلك بدلايل التوحيد بقوله تعالى الم تر اي تعلم علما يشبه
المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال ان الله
اي صاحب صفات الكمال يسبح له اي ينزهه عن كل شايبة نقص
من في السموات والارض لان التسبيح لا يدرك بالبصر بل يعلم
بالقلب وهذا الاستفهام والمراد به التقرير والبيان وهذا التسبيح
اما ان يكون المراد به دلالة هذه المخلوقات على كونه تعالى
منزها عن النقايص موصوفا بنعوت الجلال او يكون المراد منه
في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقين النطق با
للسان قال الرازي والاول اقرب لان القسم الثاني متعذر
لان في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون
منهم من لا يسبح ايضا بهذا المعنى كالكفار واما القسم الثاني
وهو ان يقال ان من في السموات وهم الملايكة يسبحون باللسان
واما الذين في الارض فمنهم من يسبح على لسان الدلالة فهذا
يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير
جايز

جايز اي عند اكثر العلما فلم يبق الا القسم الاول وهو ان هذه الاشيا
مشتركة في ان اجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى
وقدرته والهيته وتوحيده وعدله فسمي ذلك تنزيها توسعا
فان قيل فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فما وجه
تخصيصه ههنا بالعقلا اجيب بان خلقة العقلا اشد دلالة على
وجود الصانع سبحانه وتعالى لان امر الطير دلالته اعجب لانها قد
تكون بين السما والارض فتكون خارجة عن حكم من فيهما خصها بالذكر
من جملة الحيوان بقوله تعالى والطير صافات باسطات اجنحتها
في جو السما لا اجنحة في انه لا يمسكها الا الله تعالى ولا ماسك لها في الجو
مع انها اجرام ثقيلة وتقديره لها فيه على القبض والبسط حجة
قاطعة على كمال قدرته تعالى واختلف في عود الضماير في قوله تعالى
كل اي من المخلوقات قد علم صلاته وتسبيحه على قولين احدهما
انها كلها عايدة على كل قد علم صلاته وتسبيحه اي كل قد علم هو
صلاة نفسه وتسبيحها قال ابن عادل وهذا اولى لتوافق الضماير
ثانيهما ان الضمير في علم عايد الى الله تعالى وفي صلاته وتسبيحه عايد
على كل ويدل عليه قوله تعالى والله اي المحيط علما وقدرة عليم بما
يفعلون وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وهذا يويد
ان المراد من التسبيح دلالة هذه الامور على التنزيه لا النطق باللسان
روي ان ابا ثابت قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال
لي اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها
قال فقلت لا قال فانهن يقدسن الله ربهن ويسالنه قوت يومهن قال بعض
العلما انا نشاهد من الطيور وساير الحيوانات اعمالا لطيفة يعجز
عنها كثير من العقلا فاذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)